# النحات العراقي أحمد البحراني لـ"الشرق": أنا جزء من الثقافة القطرية وأفتخر

ثقافة وفنون السبت 02-04-2016 الساعة 09:44 م

أحمد البحراني في محترفه الفني

**حاورته - هاجر بوغانمي**

يواصل النحات العراقي المقيم في الدوحة أحمد البحراني مسيرته الفنية بعيدا عن ضجيج العالم المدجج بأسلحة الحرب والدمار.. مقترفًا في هذه المسيرة التي بدأت منذ سن مبكرة رهان التفرد والتميز والمرجعية حتى صارها دون منازع.

يثابر البحراني في التشخيص بعيدا عن التقليد الهجين والتجريدية المضخّمة، ونجح في أن يثبت في أكثر من مناسبة قدرته على ابتكار أشكال هي من صميم الواقع لكنها تتجاوزه في كثير من الأحيان لتستقر في ما يشبه الحلم.

للعراق في وجدانه عشق لا ينتهي، وحكاية لم تمحوها سنوات الغربة.. وللدوحة هوى.. وهوى.

يصنع الفنان أحمد البحراني منحوتاته "في انتظار وقوع شيء ما"، ويثابر في القفز خارج حلبة الصراع الدائر بين قوى الخير والشر، وتقاطعات الحياة العصية أحيانا عن التفكيك.. باحثا عن إمكانات فنية لتذويبها وصهرها ثم إعادة تشكيلها وفق رؤية بصرية جمالية لا تخلو من أبعاد إنسانية ورسائل كونية، مستفيدا من تكوينه الأكاديمي، ومن مخزونه الحضاري، ومن ارتباطه الوجداني بمدن وشخصيات محفورة في الذاكرة.

برزت أعمال البحراني في الدوحة قبل "كأس الخليج 17" وحتى يومنا هذا، واستحوذت بصمته على اهتمام صناع الثقافة في الدولة، فكان واحدا ممّن ملأوا الدنيا وشغلوا الناس بأعمال بلغت العالمية رغم محليتها.

التقيناه وهو بصدد الاحتفال بإقامة معرضه الشخصي "ماذا لو" بالحي الثقافي "كتارا".. فكان الحوار التالي:

**ما الذي قادك إلى عالم النحت، هل هي الصدفة أم اختيار؟**

الصدفة والحظ لعبا دورا كبيرا باعتبار أنني ولدت في مدينة ذات طابع عاطفي وهي مدينة "طويريج" التي تقع على نهر الفرات، وهي تابعة لمدينة بابل العظيمة، وقريبة من مدينة كربلاء بتاريخها الوجداني الحديث، وبما تحمله من إرث ديني وتقاليد أثرت حتى على رؤيتي البصرية. في أول رحلة مدرسية إلى بابل شاهدت أسد بابل وبوابة عشتار ومسلة حمورابي وشارع المبكى.. أتذكر أن أسد بابل استوقفني بطريقة مختلفة عن بقية زملائي طلاب المدرسة، كما استوقفتني أعمال نحتية عديدة بالمدينة.. بعد ذلك جدت حادثة وضعت البذرة الأساسية في حياتي كنحات. كان عمري ست سنوات وكنت أمارس لعبتي المفضلة مع الصبية على نهر الفرات. كنت دائما أنسحب من بينهم وأذهب إلى الشاطئ أصنع شخصيات بمادة الطين، وفي يوم من الأيام تفاجأت بوالدي يقف على رأسي وكان الوقت قد تأخر. توقعت أنه سيعاقبني لأنني لم أمتثل لقانون البيت، ولكنه تعامل معي بعاطفة الأب وسألني: "ماذا تفعل؟" فأخذت أشرح له ما كنت بصدده، فأمسكني من يدي وتجولنا بين تلك الأشكال وهي شخصيات مشهورة في مدينتي مثل الخباز والنجار والحداد إلخ.. ولكن برؤيتي، أي من دون تشخيص أو تفاصيل. كان المشهد عبارة عن افتتاح معرض شخصي، وما يجعلني أكثر ارتباطا بالفرات وبالعراق حتى هذه اللحظة شيء ساحر وهو أنه بعدما أخذني والدي إلى البيت وشرح لأهلي بفرح ما قمت به أحسست بنشوة، ورجعت بعد العصر كي أرى ما صنعت يداي دون أن أضع في الحسبان مسألة المد والجزر، وانتظرت إلى اليوم الثاني بعقل الطفل فإذا بالماء قد أخذ كل تلك الأشكال، فانزعجت ولكني عندما كبرت وتذكرت تلك الحادثة أصبحت أجزم أن أول من اقتنى أعمالي هو نهر الفرات، ولذلك قد يكون ارتباطي بالفرات جغرافيا بعيدا ولكن من الناحية الوجدانية مرتبط به ارتباطا كبيرا رغم مرور 22 سنة من وجودي خارج العراق.

**الفنانون العالميون عادة يبدأون رسامين وينتهون إلى نحاتين. كيف هو الوضع بالنسبة إليك؟**

في طفولتي كنت أمارس الرسم، وكنت مميزا في الأشغال اليدوية عن بقية الطلاب الموهوبين في ذلك الوقت. يقول بيكاسو: "عندما كنت صغيرا كنت أرسم كالكبار وعندما كبرت صرت أرسم كالأطفال". فالطفل يرسم بعفوية بعيدا عن عقد المجتمع. نعم أنا بدأت رساما ولا أزال أمارس الرسم.

**ما هي المراحل التي شكلت تجربتك الفنية، وما أبرز مرجعياتك؟**

الوعي عند الفنان يختلف باختلاف المرحلة العمرية والتراكمات الثقافية والبصرية. في البدايات كان ولعنا بالناحتين الأكاديميين مثل رودان ومايل أنجيلو الذي كان هوسنا ولا يزال، ولكن قبل هؤلاء حضارتي القديمة بابل وسومر واشور. فالمرجعية الأولى هي بابل وسومر واشور وتقليد ما قدمه الفنانون قبل آلاف السنين. بعد ذلك تأثرنا بالفن الأوروبي. وبعد أن تخلصت من فكرة الفن الأكاديمي أردت أن أقدم شيئا به حداثة فذهبت إلى جاكوميتي وأندلمور وبلبار أسوة بكل النحاتين العرب والعالميين لأنه لا يمكن أن تكتب رواية ما لم تكن متكئة على رواية قبلها. بعد هذه التجربة قررت أن أكون أحمد البحراني الذي له خصوصيته مع وجود تأثيرات واضحة في تجربتي.

**من أين تستمد موضوعات أعمالك؟**

في البدايات كنت أستمد أفكاري من العراق. كنت مؤمنا بمحليتي، ولكن بعد أن غادرت العراق سنة 1994 اكتشفت كم كنا منغلقين فكريا وثقافيا ومعلوماتيا وتقنيا بحكم أن النظام كان شموليا ومر بمراهقات سياسية كثيرة.. لم نكن نعرف ما يدور بالعالم الحديث فنستمد معلوماتنا من خلال ما هو متوفر، ومن خلال أساتذتنا بالجامعة، ونعمل على أساس ما هو متوفر عندنا من تقنيات. تأسسنا بطريقة صحيحة ولكننا لم نقدم أنفسنا كما يجب. عندما ذهبت إلى عمّان اكتشفت أن طبيعة البشر مختلفة والتعامل مع قاعات العرض البسيطة مختلف أيضا، هنا بدأت نقطة التحول: هل أبقى متمسكا بما أحمله من مرجعية وأقدم نفسي للعالم على أساس أنني نحات عراقي بابلي، أم أحاول أن أقدم شيئا يشبه ما يدور بالعالم؟ حدث عندي إرباك حتى بعملية الطرح التي طرحتها وأعترف بها، فكنت أبحث في الأكاديمي والتجريدي عن شيء أحبه وأشعر به. أجبرتني الظروف على الانتقال إلى اليمن.. هذا العمق التاريخي العظيم الذي أفادني بصريا وثقافيا، واستمرت عملية البحث عن الذات وعن بصمة للبحراني وهو موضوع معقد جدا في ظل البرامج الإلكترونية المتعددة وتزايد عدد الفنانين النحاتين في العالم.

**ثمة ما يشير في هذه المسيرة إلى أن هناك تحولا في مستوى المدرسة ذاتها من التجريدية إلى الواقعية التي تخلو من بحث جمالي؟**

منذ سنوات قليلة وخلال إقامتي بالدوحة قررت أن أنتقل من عالم التجريد، ولكن حادثة جدت عندما زرت العراق بعد قطيعة دامت ما يقارب 18 سنة، التقيت بصديق طفولة يعمل تاجرا فقال لي: "نحن نحبك ونفتخر بك ولكن لماذا أنت بعيد عنا؟. أمي وشقيقي ماتا في انفجار وأنت تتكلم عن بحث جمالي. أين هو الجمال الذي تتكلم عنه؟!" كان كلامه بمثابة الصفعة، وأحسست بأنني صغير أمام هذا الرجل، وأمام مدينتي، وأنني لا شيء أمام العراق.. فأنا أمتلك ما يجعلني لسان حال هؤلاء ولكني بعيد عنهم. صرت أمشي في شوارع المدينة وبداخلي خجل وخوف من عتاب أحدهم لي.
ووجدتني أمام تحد كبير: هل أقدم أزمتهم برؤية بصرية ثقافية تمتلك كل عوامل نجاح العمل الفني ولكن مستمدة من هذه المأساة؟ عدت إلى قطر وظللت ستة شهور لا أدري ماذا أفعل، إلى أن وصلت إلى قرار وهو أن أوظف كل قدراتي لخدمة قضية كونية وليس فقط عراقية وهي كراهيتي للحرب ولصناعة الحروب والسلاح. ومنذ خمس سنوات اختلفت رؤيتي للفن رغم أن القرار كان صعبا جدا، وحاولت أن أقدم عملا فنيا فيه بحث جمالي ولكنه يحمل رسالة ويعبر عما يدور في العالم..

**كيف تقدم لنا معرض "ماذا لو" الذي أقمته مؤخرا بكتارا، وما زال مستمرا؟**

"ماذا لو" اتفقنا أن ننبذ الكراهية وأن نحب بعضنا من دون شروط؟ ماذا لو قررنا أن ننبذ صناعة الحرب؟ ماذا لو قررنا أن يتعايش اللونان الأسود والأبيض؟ حاولت في هذا المعرض أن أقدم رسالة إلى العالم كما يلي: دعونا نتعايش بسلام ومحبة وفي الوقت نفسه أن أحافظ على الجانب التقني بالعمل، حيث قدمت منحوتات مدروسة بطريقة صحيحة وتحمل سمة جمالية لأن المشاهد لابد أن يشعر بالراحة النفسية وبالسعادة المؤطرة. أعتقد أن المعرض له خصوصية باعتباره يقام في قطر بعد ما يقرب من ثلاث سنوات لم أقدم فيها معارض شخصية، ولاقى المعرض استحسانا جماهيريا كبيرا، افتتح في 20 مارس الماضي ويستمر حتى 15 أبريل. وهناك معارض خارجية قادمة من بينها معرض بنيويورك نهاية العام الجاري، ومعرض في باريس بداية العام القادم، وهناك مشروع آخر في بيروت ربما يكون امتدادا لفكرة ضد الحرب ولكن برؤية مختلفة سنمارس كراهيتنا للحرب في منطقة الحب مع مجموعة من الفنانين العراقيين في عمل جماعي سيرى النور قريبا.

**تحول مفصلي**

**في الدوحة تحقق اسم البحراني وبرزت بصمتك في عدة أماكن وفعاليات، كيف تصف هذا الحضور؟**

نقطة التحول المفصلي في حياتي هي وجودي في الدوحة. قد أكون أمتلك عوامل النجاح ولكن دون توفر أرضية وعوامل دعم لا يمكنك كفنان أن تنتج وأن تمتلك أدواتك. قطر وفرت لي الأدوات بشقيها الإنساني والفني، وأنا محظوظ جدا أنني موجود في قطر منذ 16 سنة.. قد تكون انطلاقتي الحقيقية من العراق ولكن في بغداد لم أقم معرضا شخصيا إلى حد اللحظة وأنا العراقي ابن العراق. وأول معرض شخصي حقيقي ورصين قدمته في حياتي كفنان هو في الدوحة، ولابد أن أشكر هنا الداعمين لي وهم سعادة الشيخ حسن محمد بن علي آل ثاني الذي كان له دور كبير في بداياتي، وسعادة الشيخ جاسم بن حمد الذي كلفني بتصميم كأس الخليج 17 وهي نقطة مهمة جدا بتاريخ حياتي، وصولا إلى مشاريع أخرى مثل شعار لخويا والفداوية، وأعمال في المطار وسباير زون وقطر فونديشن وغيرها من المشاريع.

بعد ذلك وبعد أن تولت سعادة الشيخة المياسة بنت حمد آل ثاني مهمتها الصعبة والمعقدة في إدارة الثقافة والفن في قطر من خلال هيئة متاحف قطر. ونحن محظوظون أننا نعيش في زمن الشيخة المياسة لأن هذه المرأة التي اختيرت أهم شخصية ثقافية في العالم لم يتم اختيارها اعتباطا ولا مجاملة.

كلفت من قبلها بمجموعة من المشاريع المهمة مثل مشروع لوسيل بطولة العالم لكرة اليد، ومشروع المطار ولكن كل هذا الذي قلته هو بسبب رأس السلطة لأن توجهاته بناء الإنسان وبناء الثقافة ولولا دعم سمو الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وصاحبة السمو الشيخة موزا بنت ناصر وصولا إلى حضرة صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى. الكل ساهم في وضع ثقافة حقيقية بالبلد ونحن محظوظون أننا نعيش هنا في قطر. رأينا معارض عالمية وتعرفت إلى أسماء مهمة جدا وقدمت نفسي كفنان وأفتخر حين أقدم نفسي أنا أحمد البحراني عراقي الهوى قطري الهوى.